الأزرق لأبيه، ومساعده في "المطبعة الفاسية" منذ عام 1293 / 1876. وقد ورد اسمه في مجموعة من المطبوعات الحجرية الفاسية التي أنجزها بنفسه، ثم أسس مطبعة حجرية جديدة ورد ذكرها في آخر شرح *العمل الفاسي للسجلماسي*، الذي تم طبعه في 14 ربيع الثاني عام 1298 / 16 مارس 1881. وحوالي عام 1323 / 1905 أسس مطبعة حجرية ثانية باسمه ورد ذكرها في آخر رسالة للشيخ ماء العينين تم طبعها في سادس رمضان عام 1324 / 24 أكتوبر 1906. وكانت في درب حسان من حي البليدة بعدوة القرويين بفاس.

نشر العربي الأزرق - كأخيه الطيب - عدداً عديداً من المطبوعات الحجرية الفاسية، وطال عمله في هذا الميدان أكثر من أربعين سنة، تمتع خلالها بالتقدير من جانب المخزن الذي كان ينفِّذ له سنويا الكسوة والصلة بواسطة أمناء دار عديل بفاس. وكانت وفاته بعد 1332 / 1914.

محمد المنوني، *مظاهر*، ج 1 ؛ *مطبوعات حجرية*.

محمد حجي

الأزرق، يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي أبو زكرياء، سمي كذلك لزرقة عينيه. تولى الوزارة في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني 823 - 869 / 1420 - 1464. عمل على تثبيت نفوذ الوطاسيين بالبلاط المريني، وبذل جهودا كبيرة بمساعدة الحفصيين - سنة 830 / 1426 لاستعادة سبتة. تمكن في سنة 846 / 1442 - 1443 من إخضاع قبائل الشاوية "وكانوا قد تمردوا على الدولة واعضل داؤهم" (*الاستقصا*، 4 : 96) . فأخذ جمعهم، وخرب منازلهم، ولكنه قُتل طعنا بالرماح غذراً، قدِم على مدينة فاس قتيلا، ودُفن بالقُلة خارج باب الجيسة .

م. السخاوي، *الضوء اللامع*، 10 : 225 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 535 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 96 .

الأزرق، يحيى بن يحيى الوطاسي أبو زكريا تولى الوزارة في عهد السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد 823 - 869 / 1420 - 1464. حاول أن يستمر في العمل الذي ابتدأه أبوه بتثبيت نفوذ الوطاسيين داخل البلاط المريني، فأقصى لهذا الغرض عددا من الولاة وكبار الجند والقضاة، لكن السلطان انتبه الى نواياه بسرعة، إذ لم يدم في الوزارة سوى سبعين يوما، اعتقل على إثرها هو وبعض أفراد أسرته وأعدموا ذبحا. وقد تجنب السخاوي ذكر أي شيء عن ذلك ، في حين تعرض الناصري إلى تصرفه قائلا : "كانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزراءُ، عامل الرعية بالعسف. ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبدالله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وقدّم مكانه الفقيه يعقوب التسولي ... فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه في بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره، سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم إلاّ من حماه الأجل منهم.

وكانت وفاة يحيى عام 866 / 1461 .

م. السخاوي، الضوء اللامع، 10 : 264 ؛ أ . الناصري، الاستقصا، 4 : 97.

محمد رزوق

أزْرْقَانْ، محمد بن محد بن عبد الكريم، ينتمي إلى أسرة أولاد الحاج المنحدرة من الولي الصالح سيدي الحاج يحيى الإدريسي دفين مدشر تيغْنامين بفرقة إزْمُّورْن بقبيلة بَقِّيوَة الريفية، وكان جد المترجم له أول من لُقب بأزرقان.

ولد محمد أزرقان سنة 1310 / 1892 بمدشر أجْدير بفرقة أيت يوسف وعْلي بقبيلة بني ورياغل حيث كان عمه علي أزرقان يتولى مشيخة فرقة أيت علي وْعيسى من نفس القبيلة. ويبدو أن دراسة أزرقان اقتصرت على تعلم الكتابة والقراءة بكتّاب مسقط رأسه، ثم اشتغل بتربية الماشية والزراعة، وعندما توفي عمه علي حل محله في مشيخة الفرقة. تقول الوثائق الإسبانية إنه كان يتردد على جزيرتي النكُّور وبادس المحتلتين من طرف إسبانيا، كما كان يسافر من حين لآخر إلى مليلية وجنوب إسبانيا من أجل التجارة، الشيء الذي جعله يتصل بالإسبانيين ويتكلم لغتهم. وقد ازداد تردده على مليلية خلال المدة التي كان يوجد بها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من سنة 1907 إلى سنة 1918.

واتصال أزرقان الوثيق بالإسبانيين هو الذي جعلهم يلقبونه بالبَّاخاريطو (El pajarito) بحيث لم نجد أي وثيقة إسبانية تشير إليه دون إضافة اللقب المذكور لاسمه، بل هناك عدد من هذه الوثائق اكتفت بذكره بلقبه فقط، وكلمة "الباخاريطو" تعني الطائر الصغير في اللغة الإسبانية، وهي تطلق على الشخص الذي لا قيمة له ولا يستقر على حال، أو على السياسي المعروف بدهائه وذكائه ونباهته وحيله.

وعندما تقلد الأمير الخطابي أمام الثورة الريفية سنة 1921 م. كان أزرقان من الذين ساندوه منذ اللحظة الأولى، وكيف لا وهو زوج إحدى أخوات الأمير، وهكذا نجد أزرقان يحضر المؤتمر الأول للثورة المنعقد بمدشر إزْمُّورْن بقبيلة بني ورياغل يوم 12 جمادى الثانية 1339 / 21 فبراير 1921، والمؤتمر الثاني المنعقد بجبل القاما بقبيلة تمسمان يوم ثاني رمضان 1339 / 10 ماي 1921. والمؤتمرين الثالث والرابع المنعقدين بمدشر امزاورو بنفس القبيلة يومي 16 و 19 شوال 1339 / 9 و 12 يونيو من نفس السنة.

وكان الأمير الخطابي يعتبر أزرقان الرجل الثالث في قيادة الثورة بعد أخيه مَحمد الخطابي وعمه عبد السلام الخطابي، حيث كان يكلفه بمهمات سرية لدى السلطات

الإسبانية بمليلية، وأرسله إلى الجزائر وفرنسا سنة 1922 لأجل شراء طائرات وسيارات ومدافع.

وعندما عين الخطابي أميراً في شهر جمادى الأولى 1340 / يناير 1923 وألّف حكومته الأولى بأجدير أسند منصب ناظر (بمثابة وزير) الشؤون الخارجية إلى أزرقان الذي احتفظ بهذا المنصب إلى أن انتهى أمر الثورة الريفية سنة 1344 / 1926، وبهذه الصفة كان أزرقان يتولى المفاوضات مع الإسبانيين بخصوص الأسرى، وقد دامت هذه المفاوضات سنتين إلى أن انتهت باطلاق سراح الأسرى الإسبان يوم 9 جمادى الثانية 1341 / 27 يناير 1923 مقابل فدية قدرها أربعة ملايين بسيطة.



محمد أزرقان (الباخاريطو)

وأزرقان هو الذي ترأس الوفد الريفي الذي تفاوض مع الوفد الإسباني برئاسة الكولونيل كاسطرو خيرونا (Castro Girona) بشأن الصلح في شهر شعبان 1341 / أبريل 1923، غير أن هذه المفاوضات لم تسفر عن أية نتيجة لأن الأمير الخطابي كان يطالب بالاعتراف بالاستقلال التام للريف في حين كان الإسبانيون يعرضون عليه الاستقلال الداخلي.

وبطبيعة الحال فإن جميع المذاكرات التي كان يجريها الأمير الخطابي مع الفرنسيين قبل إعلان الحرب عليهم في شهر رمضان 1343 / أبريل 1925 وبعده كانت بواسطة أزرقان، الذي يقول عنه القبطان الفرنسي ليون غبريلي (Leon Gabrielli) إنه كان باتصال وثيق معه منذ شهر مارس من سنة 1925 بغية الوصول إلى حل سلمي للمشاكل القائمة آنذاك بين الثورة الريفية وإدارة الحماية الفرنسية بجنوب المغرب بخصوص الحدود المصطنعة بين المنطقتين.

وفي يوم 18 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925 هاجمت قوات الثورة الريفية المراكز الأمامية الفرنسية الواقعة على الحدود، وعلى إثر ذلك قدم القبطان غبريبلي إلى الريف حيث تقابل مع الأمير الخَطابي بقبيلة تمسمان، وكانت المذاكرات معه بحضور أزرقان يوم 6 ذي الحجة 1343 / 28 يونيو 1925.

ويقول القبطان المذكور إن أزرقان هو الذي تسلم منه بتوريرت شروط الصلح التي أملتها فرنسا على الأمير الخطابي يوم 23 مارس 1926 والتي لم يقبلها الأمير.

وأزرقان هو الذي ترأس الوفد الريفي المكوّن من أحمد والقائد حدو بن حدو البقّيوي الذي شارك في مؤتمر الصلح المنعقد بملتقى الويدان يوم 17 أبريل وبمدينة وجدة من يوم 22 أبريل إلى يوم 6 ماي. وقد كان يرأس الوفد الفرنسي في هذا المؤتمر الجنرال سيمون (Simon) والوفد الإسباني السفير لوبيث أوليفان (Lopez Olivan)، غير أن هذا المؤتمر لم يسفر على أية نتيجة بسبب تعنت الوفد الإسباني، لأن الحكومة الإسبانية لم تكن ترغب في انعقاد المؤتمر المذكور، وقد قبلت المشاركة فيه ترضية لفرنسا وحتى لا يقال عنها إنها لا ترغب في السلم.

وخلاصة القول أن أزرقان لعب دوراً مهما في علاقات الثورة الخارجية، كما كانت له مشاركة فعالة في تدبير شؤونها الداخلية حيث نجده بجانب الأمير الخطابي في أهم وأخطر المواقف. وعندما استسلم الأمير الخطابي للفرنسيين يوم 17 ماي 1926 كان أزرقان ممن استسلم معه، غير أنه لم يرافقه إلى منفاه بجزيرة لاريونيون (La Reunion) وإنما فرضت عليه الإدارة الفرنسية الإقامة الإجبارية بمدينة الجديدة التي ظل بها إلى أن استقل المغرب سنة 1956 واستعاد أزرقان حريته الكاملة.

وقد امتاز أزرقان عن باقي قواد الثورة الريفية بأنه هو الوحيد الذي ترك لنا الرواية المغربية المعاصرة للأحداث، ونعني بذلك ما قصه على الفقيه أحمد سكيرج بالجديدة سنة 1345 / 1926 ودوّنه الفيه المذكور نقلاً عنه في تأليف أطلق عليه اسم الظل الوريف في محاربة الريف، هذا المخطوط الذي يوجد أصله بالخزانة العامة بالرباط، كما توجد نسخة منه كتبت يوم فاتح محرم 1367 / 15 نوفمبر 1947 وكانت في ملك رئيس قسم المخابرات بنيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية الكومندار فالينطين بينيطيث (Valentin Beneitez) وقد ترجمها إلى اللغة الإسبانية عبد الرحيم جبور، وأهداني الكومندار المذكور سنة 1951 صورة من النسخة العربية ونسخة من الترجمة الإسبانية. تمتاز هذه النسخة العربية الغير المعروفة عند الباحثين بالنسبة للأصل بأنها تحتوي على عدد كثير من التعاليق والهوامش المفيدة جداً، والتي لا توجد في الأصل. فإذا قال الفقيه سكيرج في مقدمة الأصل إنه ما له في ذلك "إلا مجرد النقل عن أزرقان" فإننا نجهل من هو هذا الشخص الذي قام بنسخ النسخة التي بين أيدينا فزاد على الأصل أشياء جد مهمة تشهد على أنه كان على اطلاع كبير بشؤون الثورة الريفية العلنية منها والسرية.

لم نقف على تاريخ ومكان وفاة محمد أزرقان.

أ. سكيرج، *الظل الوريف في محاربة الريف* (مخطوط) بالخزانة العامة بالرباط ؛ م. م. عمر القاضي، *أسد الريف*، محمد بن عبد الكريم الخطابي (مذكرات عن حرب الريف) تطوان 1979 ؛ م. ابن

عزوز حكيم، *معركة أنوال 21 يوليوز 1921*، الرباط 1981 ؛ *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني*، الرباط 1986.

محمد ابن عزوز حكيم

إزرگيين، إذا كان المعنى الراجح لهذا الاسم هو لون الزرقة، فهل معنى هذا أن تاريخ هذه القبيلة التكنية يرتبط أساسا بالمد الأعرابي على المنطقة منذ سبعة قرون ؟ الواقع أن العصر العربي الوسيط لم يكتشف اسم هذا اللون إلا بصورة جد متأخرة. كما أن الاستعمال الأروبي للكلمة لم يتخذ مساره العادي إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر (A. Bouhdiba, 348) لقد قامت هذه الحضارات على مختلف مشاربها بتحميل اللون الأزرق من القيم السلبية ما جعل تجنبه يتم بشكل محكم. فنجد اللهجة الحسانية مثلا تعوضه باللون الأخضر مضيفة بذلك إلى الإشكال الذي تصادفه التسمية. يبقى إذن أن نتساءل عن موقف الصنهاجية والمصمودية والزناتية كلغات محلية من هذه القيم ؟ يكشف استجلاء هذه النقطة عن الارتباط الوثيق بين المرادفين أزرق وأزروال الذي يؤنث على تازروالت ويجمع على تيزروالين (م. شفيق : 333) ويزيد من أهمية الرؤيا أن الزراولة يمثلون تجزئة أساسية من بين تجزئات فصيلة أيت سعيد الأزرگية. هذا علاوة عن كون الرواية الشفوية المحلية ترد مدشري زريويلة وأوزرولت بوادي نون إلى إزرگيين قبل سطو أزوافيط عليها. على أن استقرار هؤلاء لم يحل دون بعض العائلات والتشبث بتسمية أهل إزريگين وأهل بومزيريگ.

يتضح من جهة أخرى أن الصراع بين قبيلتي إزرگيين وازوافيط حول مراقبة المجال شكل السبب التاريخي في مغادرة أولى القبيلتين لف أيت عثمان إلى لف أيت الجمل الساحلي. وهي إشارة تفيد أقدمية الوجود الزرگي متيحة بذلك فرصة استنطاق علاقة القبيلة ببني زروال كما ورد ذكرهم في مؤلفات أبي بكر البيدق (*أخبار*، 53)، لقد كانت فصائل بني زروال تستقر على عدوتي وادي ورغة شمال مدينة فاس بينما توحي أسماء الأماكن بكل من تازروالت إداوْسْمْلالْ ومدشري وادي نون بحجم الانتشار. بالإضافة إلى ذلك فإن بني زروال يندمجون في قبيلة أهل ستين بموريطانيا قرب ما يسمى هناك بالبيض (*الوسيط*، 454) وإذا كنا لا نعلم علاقة هؤلاء بالبرزگانيين الذين ورد ذكرهم لدى البكري (*المغرب*، 342)، فإن القاسم المشترك بين مختلف هذه الفصائل هو انتماؤها إلى الأمة الصنهاجية. ورذا كان معنى الكلمة الواردة لدى البكري يفيد طول القامة باللغة الفارسية، فإن الأمر يستدعي استنطاق نصوص القرن الثاني قبل الميلاد. وهنا نشير إلى أن وجود أسماء مقاربة لدى كل من Pline L'Ancien و Polybe و Strabon تعد من أهم الإشارات الموجهة للبحث.

وتأكيدا لما ورد نضيف بأن قرية بني زراولو الغمار ية الصنهاجية تعد من بني زرقت بمنطقة السراير (*معلمة*، 109) هذا علاوة على أن كتاب الأنساب يضع ايليزرگن من بقايا هزرجة المصمودية (*معلمة* 213). غير بعيد عن تيزرگين (*المعسول*، XII : 34). وغير بعيد أيضا عن هذه الأخيرة. تشهد تازوالت الأطلس الصغير وزريويلة على أهمية الوجود اللمطي منذ القرن الخامس الهجري على الأقل. إننا كنا لا ننوي الوقوف عند المقدرة الحربية للقبيلة من خلال المعنى اللغوي لكلمة مزراگ (E. Michaux Bellaire, *Mzrag* ; V. Dozy, *Z. R. Q*) لا بد من تأكيد التزكية الجماعية التكنية لأهمية القدرات العسكرية الإزرگية. فقواعد الأعراف ترجع بذاكرتها إلى حمو أوسعيد منذ نهاية القرن السابع عشر الذي لبى نداء السلطان إسماعيل العلوي سنة 1720 بتوجهه على رأس 500 فارس لحماية علي شندورة أمير الترارزة من تهجمات أولاد دليم وأولاد رزق. ولم تحل تطلعات الأمير الترارزي نحو منطقة الوالو وتحالفه مع A. Brüe الفرنسي على أداء سبع نياق سنوية كعادة استمرت إلى حدود سنة 1930.

ندرك من هنا كيف استطاعت القبيلة منذ التحاقها بلف أيت الجمل أن تسلك نمط العيش الترحالي بصورة نهائية. لقد استطاعت أن تختط لنفسها مجالا استراتيجيا عبر الساحل الأطلسي ابتداء من وادي درعة إلى ما وراء بئر تكنة جنوب الساقية الحمراء. هذا ما يؤكده وجودها بآوريورة منذ بداية القرن الثامن عشر (V. Monteil, 17) ولا أدل على مقدرة الحادية تكنة في مراقبة هذه المناطق حتى منتصف القرن الماضي منذ استعمال إزرگيين الفلاحي لكل من زيني وإيدار والگعدة والمريكلي بعد أهم التساقطات الموسمية، فمن حيث هي كقبيلة تكنية ساحلية، استطاعت هذه القبيلة التوفيق بين الطابع الترحالي والزراعة الموسمية. لقد كان اقتصادها يقوم بالإضافة إلى منتجات الحرث الرسمي، على تربية الجمال والغنم والمعز. هذا علاوة على أهمية حجم المنتجات التي يوفرها محميو القبيلة.

لقد جاءت العوامل الطبيعية والسياسية سببا هيكليا جعل إزرگيين ومحمييهم يعيشون في إطار من الخصوصيات. ويضيف المجال هنا عن دراسة التطور التاريخي للبنية القرابية والسياسية والاقتصادية للقبيلة. لذلك سنكتفي بنبذة وصفية تورد الخطوط العريضة لتماسك القبيلة حتى منتصف هذا القرن. تعتبر أهم فصيلة حجما ووزنا سياسيا هي اشتوكة التي تتكون من لگوانه وأهل احماد أسعيد حامييي أهل الگندوز. تاتي بعد ذلك فصيلة لگراح وفصيلة أيت سعيد. يعد أهل حمو أسعيد ـ قائد السلطان إسماعيل العلوي ـ من بين تجزءات هذه الفصيلة التي تعتبرها الرواية الشفوية أحق الفصائل بالانتماء إلى تكنة (V. Monteil, 11)، وعلى حدة العوامل الطبيعية الفاصلة بين اشتوكة ولگراج وأيت سعيد، فإن تماسكها البنيوي يتجلى خلافا لما تروجه المنغرافيات العسكرية الفرنسية في شبكة علاقاتها الحمائية مع فصائل قبيلة مجاط المحلية. فنجد أهل لخديم يرتبطون بتحركات